العلم خزائن مفتاحها
العلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله سريع الحساب، الآذن بإلهام الصواب، منشئ السحاب
محيي الأرض بغيثه رحمة على الأودية والشعاب، وأشهد أن
لا إله إلا الله الفعال لما يريد القائل يمحو الله ما يشاء ويثبت
وعنده أم الكتاب، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله
المصطفى الذي قال أدبني ربي فأحسن تأديبي وأوتي
الحكمة وفصل الخطاب صلى الله عليه وسلم وعلى آله الأصفياء
الكرام وأصحابه الأتقياء الأنجاب صلاة وسلاما فائضي
البركات على الآفاق والأنفس عدد خلق الله بدوام الله
رب الأرباب أما بعد فقد ورد العلم خزائن ومفتاحها السؤال
فسلوا يرحمكم الله فإنه يؤجر فيه أربعة السائل والمعلم والمستمع
والمحب لهم وورد تناصحوا في العلم ولا يكتم بعضكم بعضا
فإنّ خيانة في العلم أشد من خيانة في المال وورد ما أهدى مسلم
لأخيه هدية أفضل من كلمة حكمة يزيده الله بها هدى أو يرده
عن ردى وورد كلمة الحكمة ضالة كل حكيم فإذا وجدها
فهو أحق بها هذا وقد ورد إلينا الأخ المكرم الشيخ عبد الله
العياشي عاش بالله لله في حماية الله كتابكم الكريم يوم الأحد
سابع محرم فاتحة سنة ١٠٧٩ عمها الله بالخير والبركات في عافية
آمين وذكرتم أنه بلغكم الرسالتان فأما شرح التحفة فقلتم إنه
مقبول في القلوب والأسماع والحمد لله الذي بنعمته تتم
الصالحات وأما اللمعة السنية في تحقيق الإلقاء في الأمنية
فقلتم قد أشكل علينا أمرها ولم يتضح لنا إلى الآن مكنونها
وسرها لما عارضنا في فهم معنى الحديث وحمله على ظاهره من

القاعدة

القاعدة الكلية المجمع عليها الدالة على عدم تسلط الشيطان
على منصب النبوة وكون ذلك على وجه الابتلاء للأنبياء
لا يعقبه إلا خير وصلاح لعصمتهم إلى أن قلتم وقد اطلع
على الرسالة شيخنا عبد القادر وولده سيدي محمد فاستشكل
منها ما استشكلنا واستبعد ما استبعدنا ثم قلتم فأشرت على
سيدي محمد ولد شيخنا أن يكتب ما يَرِدُ على كلامكم من إشكال
أو معارضة لنبعثه إليكم فتعيدوا النظر وتكتبوا لنا بما تنشرح
إليه صدوركم فإنكم بفضل الله من الموفقين ثم قلتم إنه استعظم
ذلك وخشي أن يتوهم من ذلك أنه قصد مباراة أو مجاراة
لقصد التباهي وإنكم دفعتم ذلك بما هو مقتضى التناصح في
العلم وحسن الظن بالعبد جزاكم الله وإياهم خيرا ثم قلتم فكتب
رسالة تصل إليكم إن شاء الله تعالى فأمعنوا النظر فيها وأزيلوا عنا
الحيرة لنا نشأة من المعارضة المذكورة إلى أن قلتم فأشبعوا
الكلام فيها كما هو عادتكم ولكم جزيل الثواب ثم وصلت الرسالة
فرأيتكم كتبتم في آخرها والمسؤول من شيخنا إبراهيم أن يمعن
النظر في هذه الرسالة ويكشف لنا عن معضل مسائلها أبقاه
الله من القوة في الدين والرسوخ في اليقين وليكن في علم مولانا
أن المقصود الاسترشاد والاستهداء إلى سواء الطريق على
لسانك الخ وهذا أوان الشروع فيما طلب من الجواب على تيسير الله
الفتاح العليم العزيز الوهاب تمهيد في الكلام على الحديث
من حيث النقل فنقول وبالله التوفيق وبيده ملكوت التحقيق
قال البخاري رحمه الله تعالى قال ابن عباس في قوله تعالى إذا
تمنى ألقى الشيطان في أمنيته إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه
فيبطل الله ما يلقي الشيطان ويحكم آياته انتهى وما علقه
جازما قال في فتح الباري وصله الطبري من طريق علي بن أبي

طلحة عن ابن عباس منقطعا ثم قال في الفتح واسند ابو جعفر
النحاس عن احمد بن حنبل قال بمصر صحيفة في التفسير رواها
علي بن ابي طلحة عن ابن عباس لو رحل رجل فيها الى مصر قاصدا ما كان
كثيرا وقال في كتاب العجاب في الاسباب وعلي صدوق ولم
يلق ابن عباس لكنه انما حمل عن ثقات اصحابه فلذلك كان
البخاري وابو حاتم وغيرهما يعتمدون على هذه النسخة انتهى
ثم قال البخاري ويقال الا امنيته قراءته الا اماني يقرؤون
ولا يكتبون انتهى قال في فتح الباري هو قول الفراء قال
التمني التلاوة ثم قال النضر والتمني ايضا حديث
النفس انتهى ولا منافاة بينهما لصحة الجمع وتفسير ابن عباس
ينطبق على الوجهين اذ يصح ان يراد بقوله اذا احدث نفسه
وان يراد اذا احدث اذا تلا الحديث اي القرآن لقوله تعالى
فليأتوا بحديث مثله وقوله الله نزل احسن الحديث واللفظ
قابل للمعنى الاعم الشامل للحديث الذي هو غير القرآن لكن الرواية
الصحيحة ما صحت الا بالالقاء في قراءته ويشهد له قوله تعالى ثم يحكم
الله آياته ويصح ان يراد جميعا اذ قد ورد من غير وجه انه صلى
الله عليه وسلم كان يتمنى هداهم ويحرص نحو قوله تعالى ان تحرص على
هداهم وقوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وقد صح ان الالقاء
كان في قراءته لا في حديث غير القرآن كلام فيصح ان يقال اذا
تمنى اذا حدث نفسه باسلام قومه وتعلق ارادته بهداهم عند
القراءة القى الشيطان في قراءته في تلك الحالة اي حالة تمنيه
هداهم وعلى المتقادير ليس فيها التصريح بزيادة انه القاه
على لسانه ولكنها لا تنافي الزيادة لان الالقاء في الاية
بالمعنى اعم من ان يكون بنطق الشيطان في سكتة من سكتاته
حال تمنيه هداهم محاكيا نغمته بحيث يسمعه من دنا اليه ويظن

انه من

انه من قراءته وان يكون بالقاء الشيطان على لسانه فيكون الناطق
به النبي صلى الله عليه وسلم في اثناء قراءته حال تمنيه هداهم فيكون
المعنى اذا تمنى هدايتهم اجمعين في قراءته القى الشيطان في قراءته
حال تمنيه هداهم على لسانه لكن لا يتم صحة ارادة هذا المعنى
الا اذا تبين ان الرواية التي فيها تلك الزيادة صحيحة ثم انها
لا تنافي العصمة وها هو ذا نحن بصدده بهذا البيان والله
المستعان فنقول وبالله التوفيق قال في فتح الباري واخرج
ابن ابي حاتم والطبراني وابن المنذر من طرق عن شعبة عن ابي بشر
عن سعيد بن جبير قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة النجم فلما
بلغ افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان
على لسانه تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فقال
المشركون ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا فنزلت هذه
الاية واخرجه البزار وابن مردويه من طريق امية بن خالد عن شعبة
فقال في اسناده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما احسب ثم ساق
الحديث وقال البزار لا يروى متصلا الا بهذا الاسناد تفرد بوصله
امية بن خالد وهو ثقة مشهور وقال السيوطي في الدر المنثور
واخرج البزار والطبراني وابن مردويه والضياء في المختارة بسند
رجاله ثقات من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ افرأيتم اللات والعزى ومناة
الثالثة الاخرى تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى
ففرح المشركون بذلك وقالوا قد ذكر آلهتنا فجاءه جبريل فقال
اقرأ علي ما جئتك به فقرأ افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة
الاخرى تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فقال
ما اتيتك بهذا هذا من الشيطان فانزل الله وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى الى آخر الاية وقال

السيوطي في حاشيته على انوار التنزيل ما نصه قوله نزلت
سورة النجم فاخذ يقرؤها الى قوله وهو مردود عند المحققين
هذه القصة رواها البزار والطبراني بسند صحيح عن ابن عباس ووردت
من طرق كثيرة مرسلة ثم ساق كلام البيهقي وكلام القاضي عياض مختصرا
وكلام ابن حجر مبسوطا وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي في طبقات
الحنابلة في ترجمة الحافظ الكبير ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي
عند ذكر تصانيفه ما نصه كتاب الاحاديث المختارة وهي الاحاديث
التي يصلح ان يحتج بها سوى ما في الصحيحين خرجها من مسموعاته كتب
منها تسعين جزءا ولم يكمل قال بعض الائمة هي خير من صحيح الحاكم انتهى
بلفظه وقال الحافظ السخاوي في فتح المغيث واهل المسانيد منهم
من يجمع في ترجمة كل صحابي ما عنده من حديثه من غير نظر للصحة وغيرها
وهم الاكثر ومنهم من يقتصر على الصالح للحجة كالضياء في مختاراته التي لم
تكمل انتهى ثم قال السيوطي واخرج ابن جرير وابن المنذر وابن ابي
حاتم بسند صحيح عن سعيد بن جبير قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمكة النجم وساق الحديث بمثل ما ساق ابن حجر الى قوله فسجدوا ثم
جاء جبريل بعد ذلك فقال اعرض علي ما جئتك به فلما بلغ تلك
الغرانيق العلى وان شفاعتهن ترتجى قال له جبريل لم آتك بهذا
هذا من الشيطان فانزل الله وما ارسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي الآية انتهى ثم ساق ابن حجر في فتح الباري طرقا عن ابن عباس
وغيره وقال في آخرها ومعناهم كلهم في ذلك واحد وكلها سوى
طريق سعيد بن جبير اما ضعيف واما منقطع لكن كثرة الطرق تدل
على ان للقصة اصلا مع ان لها طريقين آخرين مرسلين رجالهما على شرط
الصحيح احدهما ما اخرجه الطبري من طريق يونس بن يزيد عن ابن شهاب
حدثني ابو بكر بن عبد الرحمن ابن الحارث ابن هشام فذكر نحوه والثاني
ما اخرجه ايضا من طريق المعتمر بن سليمان وحماد بن سلمة فرقهما عن داود

ابن ابي هند

ابن ابي هند عن ابي العالية وقد تجرى ابو بكر ابن العربي كعادته فقال
ذكر الطبري في ذلك روايات كثيرة باطلة لا اصل لها وهو اطلاق مردود
عليه وكذا قول عياض هذا الحديث لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه
ثقات بسند سليم متصل مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع
اسناده وكذا قوله ومن حملت عنه هذه القصة من التابعين والمفسرين لم
يسندها احد منهم ولا رفعها الى صاحب واكثر الطرق عنهم في ذلك ضعيفة
قال وقد بين البزار انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره الا من طريق ابي
بشر عن سعيد بن جبير مع الشك الذي وقع في وصله واما الكلبي
فلا تجوز الرواية عنه لقوة ضعفه ثم رده من طريق النظر بان ذلك
لو وقع لارتد كثير ممن اسلم قال ولم ينقل ذلك انتهى وجميع ذلك
لا يتمشى على القواعد فان الطرق اذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك
على ان لها اصلا وقد ذكرنا ان ثلاثة اسانيد منها على شرط الصحيح وهي
مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض
انتهى وقال السيوطي في لباب النقول في اسباب النزول قال
الحاكم في علوم الحديث اذا اخبر الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل
عن آية من القرآن انها نزلت في كذا فانه حديث مسند ومشى عليه ابن
الصلاح وغيره ثم قال ما جعلناه من قبيل المسند من الصحابي اذا
وقع من تابعي فهو مرفوع ايضا لكنه مرسل فقد يقبل ان صح السند اليه
وكان من ائمة التفسير الآخذين عن الصحابة كمجاهد وعكرمة وسعيد
بن جبير واعتضد بمرسل ونحو ذلك انتهى وقد تحصل من ذلك
ان الحديث قد اخرجه غير واحد من اهل الصحة وان رواته ثقات
بسند سليم متصل عن ابن عباس بتصريح الحافظ السيوطي في الدر
بان رجال سنده ثقات وفي حاشيته على انوار التنزيل بان سنده
صحيح المؤيد بتصريح الحافظ ابن رجب ان الضياء اشترط في المختارة
ان يورد فيها الاحاديث التي يصلح ان يحتج بها سوى ما في الصحيحين

وبتصريح الحافظ السخاوي بان الضيا اقتصر في مختاراته على الصالح
للحجة وبثلاث اسانيد صحيحة عن ثلاث من التابعين من ايمة التفسير
الاخذين عن الصحابة فهو على ما اصلوه مما نقله في لباب النقول مسند من
الطريق المتصلة بابن عباس مرسل مرفوع من الطرق الثلاث الاخر لان
ابن عباس وان لم يدرك القصة لكن اللازم من ذلك ان يكون حديثه
مرسل صحابي وذلك له حكم المتصل كما هو مقرر في محله وقد تبين
ان القصة سبب النزول وان الزيادة التي رواها الثقات عن ابن عباس
في غير رواية البخاري ليست مخالفة لما في البخاري عنه فلا تكون
شاذة فتكون مقبولة لكونها من زيادات الثقات التي لا منافاة فيها
لما في الصحيح وهو المطلوب وبالله التوفيق اذا تمهد هذا فنقول
قال الذكي البارع مولف الرسالة اعني رسالة المراجعة للاستمداد
والمحاذاة للاسترشاد الشمس محمد ابن الشيخ العلامة التقي بركة الوقت
قطب المغرب عماد الدين عبد القادر الفاسي ابقاهما الله تعالى
وادام النفع بهما في اول رسالته ورد علينا من المدينة المنورة رسالة
للشيخ وانني بما هو مقتضي لؤي من مرآة المومن من كما لا ابراهيم بن حسن
الشهرزوري سماها اللمعة السنية في تحقيق الالقاء في الامنية مضمنها
الكلام على ما روي من ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرا سورة النجم قال
افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى تلك الغرانيق العلى
القصة المشهورة عند المفسرين جنح فيها الشيخ المذكور الى صحة الحديث
وابقائه على ظاهره من ان الناطق بذلك النبي صلى الله عليه وسلم
وقد بقيت في المسئلة امور لم يتعرض لايضاحها فاردنا ما جمعته
في ذلك استمداد ابن بحر علومه وطلبا للاستفادة من دقيق فهومه
فنقول اما الخبر من حيث النقل فقال في الشفا هذا حديث
لم يخرجه احد من اهل الصحة الى اخر ما ساقه من كلام القاضي عياض
وابي حيان وابن حجر والرد على ابن حجر اما ما قاله في الشفا فقد تبين

النظر مع

حاله وكذلك بعض كلام ابي حيان وبعضه ستبين حاله في
اثناء الكلام على اللوازم وكذلك حال ما ذكره القاضي
عياض في رد الحديث من طريق الان شا الله تعالى واما الرد على ابن
حجر في قوله لكن كثرة الطرق تدل على ان للقصة اصلا وقوله
فان الطرق اذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على ان لها
اصلا وقوله قد يقال هذه الدلالة غير قطعية فجوابه انه لم
يدع القطعية كيف وقد صرحوا بان قولهم هذا حديث صحيح
مرادهم في الظاهر لا القطع واذا لم يكن القطع هو المراد
فلا شك في الدلالة اذ بكثرة الطرق وتباين المخارج يخرج الحديث
عن كونه موضوعا وهو من المصرح به ايضا واذا يبطل الحكم عليها
بالوضع لكثرة طرقها وتباين مخارجها ثم وجد له اسناد سليم
متصل وثلاث اسانيد مرسلة صحاح صح التمسك به من حيث السند
قوله وهي معارضة بظواهر الايات الدالة على امتناع حمل القضية
على ظاهرها قلنا ~~انه لا تعذر للجمع لما سيتبين انها لا تنافي ما جاء به~~
~~من التوحيد وان النطق~~ الخ لا معارضة لان حملها على ظاهرها
لا ينافي ما جاء به من التوحيد فلا ينافي العصمة كما سيتضح قوله
سلمنا انه لا يدل على ان لها اصلا ولكن يكفي في ذلك المقدار الذي
يوافق ما ثبت في الصحيح قلنا قد تبين ان الزيادة التي فيها
النزاع موافقة لما ثبت في الصحيح غير منافية له قوله اذ لا يلزم ان
يكون جميع الزيادات مقبولة لا سيما ان تعذر الجمع والتاويل الخ
قلنا لا تعذر للجمع لما سيتبين انها لا تنافي ما جاء به من التوحيد
وان النطق بها لا ينافي التوحيد تبعا لالقاء ملبس للتاديب
لا يقدح في منصب النبوة ولا يهدم ما علم يقينا من العصمة كما
سيتضح ذلك كله ان شا الله تعالى فصل قوله بعد سياق كلام الشفا
وابي حيان وابن حجر والرد عليه هذا ما يتعلق بالحديث من حيث

النقل واما ما يلزم على ابقائه على ظاهره من كون الناطق بذلك
النبي صلى الله عليه وسلم بسبب القاء الشيطان الملبس بالذلك
ابتلاء من الله تعالى فامور منها تسور الشيطان وتسلطه عليه ولا سيما في
مثل هذا من امور الوحي والتبليغ والاعتقاد وقد قال تعالى
ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وقال تعالى انه ليس له سلطان
على الذين امنوا وقال الامام القاضي ابو بكر ابن العربي اجمعت
الامة على ان النبي معصوم من الشيطان ممنوع الخ **والجواب**
مسبوق بتمهيد مقدمة وهي ان الاكمل في العبودية ان تتعلق
مشيئة النبي صلى الله عليه وسلم بما امر به من البلاغ المبين ولا تتعلق
بما لم يتعلق به مشيئة الحق سبحانه فاذا تمنى هداية الجميع مع تعلق
مشيئة الحق بهداية البعض دون بعض على طبق ما سبق به العلم
المحيط كان ذلك خلاف مقتضى الاكمل في العبودية المقتضي
فناء ارادته في ارادة الحق تعالى ولا سيما بعد ان قال له
الحق تعالى وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي
نفقا في الارض او سلما في السماء فتأتيهم باية ولو شاء الله لجمعهم
على الهدى فلا تكونن من الجاهلين والله سبحانه وتعالى لكمال
عنايته به بمقتضى ادبني ربي فاحسن تأديبي لما اراد تأديبه
بما يصير سببا لاحراق بقية الملاحظة التي يحرص بها على ايمان
الكل الذي هو فوق ما امر به تصفية وتنقية من بقية خفي
المنازعة وترقية الى الاكمل في العبودية لبس عليه الالقاء حالة
التمني هدى الكل فقط تنبيها على ان ذلك انما جاء من هذا
التمني المصادم للقدر ولما كان القصد بالتلبيس في هذه الحالة
ما ذكرنا للتأديب بالنسبة اليه كان المناسب بمقتضى الحكمة ان
لا يميز حتى يتم التأديب واما في غير تلك الحالة التي لم تقع في
العمر الا مرة واحدة فانه لكونه على الاكمل من صفة العبودية

من سلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم ان قد ابلغوا رسالات
ربهم فاذا ابتهته على انه من اين اتى ثم نسخ ما يلقي الشيطان واحكم
اياته فقد ادبه واحسن تأديبه لحصول التصفية والتنقية
والترقية من غير اخلال بامر النبوة **اذا تمهد** هذا فنقول لما
حكى الحق سبحانه عن ابليس قوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم
المخلصين قال تعالى تصديقا له في الاستثناء ان عبادي ليس
لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين فالسلطان المنفي
عن المخلصين هو الاغواء اعني التلبيس المخل بامر الدين واما غير
المخل فلا دليل على نفيه وما في الاية ليس من التلبيس المخل لعدم
منافاته التوحيد على ما سيأتي توجيهه ولم يقع في العمر الا مرة
واحدة ولم يتوجه الا بعضا من زمان ولم يخل بشيء من امر النبوة
حتى تأخر البيان ثم النسخ والاحكام وتضمن بالنسبة اليه تأديبا
بالتنقية والترقية وبالنسبة الى غيره ما قاله العليم الحكيم
تعالى ليجعل ما يلقي الشيطان الايتين **واجماع** الامة على ان النبي
معصوم من الشيطان لا ينافي هذا لانه ليس من السلطان المنفي
في اية المخلصين وهذا المنفي اعني التلبيس المخل هو الذي وقع
الاجماع على ان النبي معصوم منه وكيف يصح نقل الاجماع على ان الله
ليس له ان يؤدب نبيه بما لا يخل بمقام النبوة مع العلم بشهادة
النصوص بذلك هذا واخرج عبد بن حميد عن انس ان رجلا
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا خيرنا وابن خيرنا ويا سيدنا
وابن سيدنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بقولكم
ولا يستهوينكم الشيطان انا محمد بن عبد الله عبد الله ورسوله
لا احب ان ترفعوني فوق منزلتي التي انزلني الله فصلى الله عليه
وسلم عدد ما خلق الله من شيء ابدا ولنعود فنقول **واما** قوله
في اواخر الرسالة ولو وقع منه خلاف الاكمل لكان في

فتنة م

الاية او غيرها ما يدل على العتاب وليس هنا كذلك ما يشير الى شيء من
ذلك فجوابه ان في الاية نفسها تنبيها على ذلك لانه رتب الالقاء
على التمني فنبه على ان التمني المصادم للقدر يؤدي الى مثل هذا
التاديب عن العود الى مثله وقد تم ولله الحمد ومن هنا يظهر ان
ابا حيان في قوله والعجب من نقل هذا يعني الحديث المذكور في
سبب النزول وهم يتلون في كتاب الله والنجم اذا هوى ما ضل
صاحبكم وما غوى الخ احق بالعجب منه اذ ليس هذا من الضلالة
والغواية في شيء بل انما هو تاديب من غير اضلال ومنه يظهر الجواب
عن اشكالكم وهو ان كون ذلك على وجه الابتلاء لا يدفع المعارضة
اذ تسليط الشيطان على بني آدم كله ابتلاء الخ وذلك الفرق بين
الابتلاء بالتسليط المخل والابتلاء بالتلبيس المتضمن للتاديب
بالشفقة والترقية من غير اضلال فان تسلطه على غير الانبياء
والمحفوظين من الاولياء تسليط مخل بالديانة واما المحفوظون
من الاولياء فيلقي في قلوبهم لكنه لا يظهر اثر الالقاء على جوارحهم من
خلل لقوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان
تذكروا فاذا هم مبصرون فاثبت المس لكنه اثبت بعده ما ينفي ظهور
حكمه ولله الحمد واما الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه فلا سبيل له
الى قلوبهم بالالقاء ولهذا قال المحققون ان الانبياء ليس لهم خاطر
شيطان لعصمتهم واما اذا ظهر في الحس فقد يلقي في السمع ليجري على
اللسان لكن لا لقوله كما حكي انه ظهر لعيسى عليه السلام فقال له قل لا اله
الا الله فقال عيسى قولها لا لقولك لا اله الا الله فرجع خاسئا واما
مع عدم العلم بانه هو والتباسه القاؤه بالقاء الملك على النبي للتاديب
فلم يرد الا في هذه الحالة الخاصة المذكورة في الاية بناء على ما صحت به
الرواية من غير معارض محقق والمعارض الموهوم يندفع عند الفهم
باذن الله فيلقي في السمع ما يجري على اللسان مما لا ينافي التوحيد عند

التحقيق

التحقيق ثم ياتي البيان والنسخ والاحكام فيتم التاديب من غير اضلال
وبالله التوفيق وقد نبهتهم على الفرق ولكن الله تعالى لم يرد اتمام البيان
اذ ذاك فانكم اذا اثبت عندكم ان ابتلاء الانبياء لا يعقبه الا خير وصلاح
فقد ثبت ان التلبيس للتاديب مع البيان بعده والنسخ والاحكام من
غير اضلال ليس من محل الاجماع وبه يزول الاشكال باذن الله ذي
الجلال والحاصل ان الاجماع انما وقع على عصمته من تسليط الشيطان
عليه بوجه يقدح في مقام النبوة والتلبيس في الالقاء للتاديب من غير
اضلال ليس من ذلك وبالله التوفيق في تنوير كل حالك قوله
ومنها ان يأتي صلى الله عليه وسلم في القرآن ما ليس منه وعلى هذا الوجه
اقتصر ابن حجر في منع الحمل على الظاهر فقال اثر كلامه المتقدم واذا
تقرر ذلك تعين تاويل ما وقع فيها مما يستنكر وهو قوله القى
الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى الخ فان ذلك لا يجوز حمله
على ظاهره لانه صلى الله عليه وسلم يستحيل عليه ان يزيد في القرآن عمدا
ما ليس منه وكذا سهوا اذا كان مغايرا لما جاء به من التوحيد
لمكان عصمته انتهى والجواب ان المستحيل المنافي للعصمة ان يزيد
من تلقاء نفسه اي يزيد فيه ما يعلم انه ليس منه وهذا ليس
كذلك لانه لم يزد من تلقاء نفسه عالما بانه ليس منه بل انما تبع
فيه الالقاء الملبس عليه في حالة خاصة فقط تاديبا له ان يعود
لمثل تلك الحالة وكلما كان القصد في التلبيس في تلك الحالة
الخاصة للتاديب فالمناسب بمقتضى الحكمة ان يشتبه عليه الالقاء ليتم
التاديب من غير اضلال لان هذا الزائد لا يتعين ان يكون
مغايرا لما جاء به من التوحيد لجواز ان يكون صلى الله عليه وسلم
فهم عند الالقاء انه استفهام انكاري بحذف الهمزة او حكاية
عنهم بتقدير القول وهو كثير وقد حكى الله تعالى معنى ذلك
عنهم في قوله ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله مع انه رد عليهم

بقوله قل أتنبئون الله بما لا يعلم الآية وغير ذلك وحكاية الباطل
مع رده حق وهنا قد ذكر رده بقوله إن هي إلا أسماء سميتموها
أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان وما لم ينزل الله به من
سلطان لا يرجى شفاعته إذ لا شفاعة إلا من بعد الإذن ألا ترى إلى قوله
تعالى بعده وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد
أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ولا إذن لمن لم ينزل به من سلطان
ولا رضى فرجاء الشفاعة منهم بعد هذا تمنٍّ محض وهذا في منكر
الرجاء الشفاعة منها أم للإنسان ما تمنى ولا أصل وإن كان عدم
الحذف لكنه قد يسلك طريقه لنكتة وهي هنا إيهام الذين في قلوبهم
مرض والقاسية قلوبهم أنه مدح للآلهة بحذف القول أو الهمزة وهذا
كان مراد الله أن يقع ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة لهم وتثبيتا للآخرين
والحاصل أنا نقول بعد ثبوت الحديث وكونه سبب النزول وحمله على
ظاهره يتعين المصير إلى أحد هذين الوجهين أي كونه استفهاما محذوفا
منه الهمزة أو حكاية محذوف منه القول لمكان العصمة ومن المعلوم
على هذا أن النطق بما لا يكون مغايرا للتوحيد منافيا للعصمة بتعمد
للإلقاء الملبس في حالة خاصة للتأديب من غير إخلال مع وقوع البيان
بعده والنسخ والإحكام ليس من الزيادة في القرآن المستحيل على النبي
المعصوم فلا محذور وبالله التوفيق **قوله** ومنها اعتقاد النبي ما ليس
بقرآن أنه قرآن مع كونه بعيد الالتئام متناقضا ممتزج المدح بالذم
وهو خطأ شنيع لا ينبغي أن يتساهل في نسبته إليه صلى الله عليه وسلم
والجواب أنه قد مر جواز أن يكون صلى الله عليه وسلم نطق به على فهم
أنه استفهام إنكاري بحذف الهمزة أو حكاية عنهم بحذف القول
وعلى التقديرين فاعتقاد كونه قرآنا من حيث المعنى لا محذور
فيه لأن الله تعالى حكاه في القرآن ورده وحكاية الباطل مع رده
حق لا ينافي التوحيد ولا العصمة وأما من حيث اللفظ فهو تابع

للالقاء

للإلقاء الملبس في حالة خاصة تأديبا بلا إخلال وقد مر أن التلبيس للتأديب
من غير إخلال لا محذور فيه فكذلك ما يتبعه ويزداد هذا
المقام وضوحا عند الكلام على النقول في تقرير ما ذكروه في شرح
حديث ذي اليدين إن شاء الله تعالى وإذا ظهر صحة كونه استفهاما بحذف
الهمزة أو حكاية بحذف القول ظهر أنه ليس بعيد الالتئام ولا متناقضا
ولا ممتزج المدح بالذم وبالله التوفيق **قوله** ومنها أنه إما أن يكون عند
نطقه بذلك معتقدا ما اعتقدوه من ذكر آلهتهم ومدحها بهذه
الكلمات وهو كفر محال في حقه صلى الله عليه وسلم وإما أن يكون معتقدا
معنى آخر مخالفا لما اعتقدوه وموافقا لظاهر العبارة ولم يبينه
لهم مع فرحهم وادعائهم أنه مدح آلهتهم فيكون مقرا لهم على الباطل
وحاشاه صلى الله عليه وسلم أن يقر على الباطل **والجواب** أنا نختار الشق
الثاني بناء على أنه استفهام محذوف منه الهمزة أو حكاية بحذف القول
وكل منهما واقع في فصيح الكلام وعلى التقديرين يكون معتقد المعنى
مخالفا لما اعتقدوه ولا يلزم منه التقرير على الباطل لأنه بين
بطلانه بقوله إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله
بها من سلطان لما مر أن ما لم ينزل الله به من سلطان لا يرجى
شفاعته لعدم الإذن للآلهة غاية ما في الباب أن الكلام موهم لخلاف
المراد بسبب الحذف وكان ذلك لإيهام مراد الله ليجعله فتنة للقوم
وتثبيتا للآخرين من غير إخلال بمقام النبوة ولا محذور في ذلك
وبالله التوفيق **قوله** ومنها كونه اشتبه عليه ما يلقيه الشيطان
بما يلقيه الملك وهذا يقتضي أنه على غير بصيرة فيما يوحى إليه
ويقتضي أيضا أنه يجوز تصور الشيطان بصورة الملك ملبسا
على النبي والذي ينبغي اعتقاده أنه على بصيرة فيما يأتيه من الله
وأنه يعلم يقينا أن المخاطب له ملك لا شيطان إلى أن قال
وفي الشفا ما نصه وكذلك لا يصح أن يتصور له الشيطان

في صورة الملك ويلبس عليه لا في اول الرسالة ولا بعدها ولا اعتماد
في ذلك دليل المعجزة بل لا يشك النبي ان ما ياتيه من الله الملك
الخ وقال ابن العربي ايضا تصور الشيطان في صورة الملك
ملبسا على النبي كتصوره في صورة النبي ملبسا على الخلق وتسليط الله له
على ذلك كتسليطه في هذا فكيف يسوغ في لب سليم استجازة ذلك الخ
والجواب ان هذا الاشتباه في حالة خاصة للتاديب لا يقتضي ان
يكون على غير بصيرة فيما يوحى اليه في غير تلك الحالة والثابت
بدلالة المعجزة انما هو نفي الاشتباه المخل بامر النبوة واما الاشتباه
الذي لا يستلزم منافيا في التوحيد ولا يكون الا زمنا يسيرا ثم يعقبه
البيان والنسخ والاحكام فلا يخل بمقام النبوة وكيف يخل بمقام
النبوة تاديب الله بما يتضمن تنقية وترقية الى الاكمل في العبودية
ولا منافيا في التوحيد واما قول القاضي عياض ولا يصح ان يتصور الشيطان
في صورة الملك ويلبس عليه فان اراد تلبيسا قادحا فهو مسلم لكنه
لم يقع وان اراده مطلقا ولو كان غير مخل فلا دليل عليه ودليل
المعجزة انما ينفي الاشتباه المخل بامر النبوة المنافي للتوحيد
القادح في العصمة ولم يقع ثم هو معارض بما اخرج عبد ابن حميد
وابن جرير عن الضحاك ابن مزاحم في قوله تعالى الا من ارتضى من رسول
فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا قال كان النبي اذا بعث
اليه الملك بالوحي بعث معه ملائكة يحرسونه من بين يديه ومن
خلفه ان يتشبه الشيطان على صورة الملك اورده في الدر
المنثور والدليل مع الضحاك لان بعث الرصد للحراسة دليل
امكان التشبه وهو ظاهر ويؤيده ما اخرجه ابن ابي حاتم
بسند صحيح عن سعيد ابن جبير قال ما جاء جبريل بالقران
الى النبي صلى الله عليه وسلم الا ومعه اربعة من الملائكة حفظة
اورده السيوطي في الاتقان واما قول ابن العربي تصور

الشيطان في صورة الملك ملبسا على النبي كتصوره في صورة النبي
ملبسا على الخلق الخ فهو قياس مع الفارق لان تصوره في صورة
النبي مطلقا منفي بالنص الصحيح وتصوره في صورته ملبسا على
الخلق اغوائهم وهو سلطان منفي بالنص عن المخلصين واما تصوره
في صورة الملك في حالة خاصة ملبسا على النبي بالقاء ما لا يكون
منافيا للتوحيد لما يريد الله بذلك تاديبا للنبي ولا يهامه خلاف
ولا بالتصور الممنوع لعدم اخلاله بمقام النبوة كما تبين غير مرة
والله التوفيق تنبيه قال الحافظ ابن حجر في قوله في حديث
جبريل ثم ادبر الرجل فقال ردوه فلم يروا شيئا فقال هذا
جبريل جاء يعلم الناس دينهم ما نصه وفي رواية ابي فروة والذي
بعث محمدا بالحق ما كنت باعلم منه من رجل منكم وانه لجبريل وفي
حديث ابي عامر ثم ولى فلما لم نر طريقه قال النبي صلى الله عليه وسلم
سبحان الله هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم والذي نفس محمد
بيده ما جاءني قط الا وانا اعرفه الا ان يكون هذه المرة وفي
رواية سليمان التيمي ثم نهض فولى فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم علي بالرجل فطلبناه كل مطلب فلم نقدر عليه فقال هل
تدرون من هذا هذا جبريل اتاكم ليعلمكم دينكم خذوا عنه
فوالذي نفسي بيده ما شبه علي منذ اتاني قبل مرتي هذه
وما عرفته حتى ولى انتهى فيما هو ذا صرح صلى الله عليه وسلم بانه
شبه عليه جبريل في هذه المرة وانه لم يعرفه حتى ولى فاذا
اوجب ذلك الاقادح في مقام النبوة بانه شبه عليه الملك
الظاهر في صورة اعرابي بالاعرابي في المرة واحدة كذلك
لا قادح ان يشتبه عليه الشيطان الظاهر في صورة الملك
بالملك في حالة خاصة في المرة واحدة فيلقي اليه ما لا ينافي
التوحيد ليقع به التاديب بالنسبة اليه وليجعله لا يهامه

فتنة لقوم وتثبيتا لآخرين على أنه لا يلزم من اشتباه الالقاء
بالالقاء تصور الشيطان في صورة الملك لجواز أن يلقي في سكتة
من سكتات الملك محاكيا نغمته من غير أن يتصور في صورته وإن
كان التصور جائزا وقد تبين أنه ليس من السلطان المنفي فلا محذور
وبالله التوفيق قوله ومنها التقول على الله تعالى عمدا وغلطا أو سهوا
وكل ذلك محال في حقه عم كما في الشفا وأما قوله صلى الله عليه وسلم
فقد قامت الدلائل الواضحة بصحة المعجزات على صدقه وأجمعت
الأمة فيما كان طريقه البلاغ أنه معصوم فيه من الإخبار عن شيء
بخلاف ما هو به لا قصدا وعمدا ولا سهوا وغلطا الخ والجواب
التقول تكلف القول ومن لا يتبع إلا ما يلقى إليه من الله حقيقة
او اعتقادا كان ناشئا من تلبيس غير مخل لا تكلف للقول عنده
فلا تقول له على الله أصلا وتوضيح المقام يستدعي نقل ما ذكره
في حديث ذي اليدين وتحريره فنقول وبالله التوفيق قال
الحافظ ابن حجر في حديث ذي اليدين أنسيت أم قصرت فقال
لم أنس ولم تقصر فقال بلى قد نسيت ما نصه وهو حجة لمن
قال السهو جائز على الأنبياء فيما طريقه التشريع وإن كان عياض
نقل الإجماع على عدم جواز دخول السهو في الأقوال
التبليغية وخص الخلاف بالأفعال لكنهم تعقبوه نعم اتفق من جوز
ذلك على أنه لا يقر عليه بل يقع له بيان ذلك إما بالفعل أو بعده
كما وقع في هذا الحديث من قوله لم أنس ولم تقصر ثم تبين أنه نسي
ومعنى قوله لم أنس أي في اعتقادي لا في نفس الأمر ويستفاد
منه أن الاعتقاد عند فقد اليقين يقوم مقام اليقين وفائدة
جواز السهو في مثل ذلك بيان الحكم الشرعي إذا وقع مثله لغيره
انتهى وتحريره أنه صلى الله عليه وسلم لما جعله الله مشرعا بفعله
كقوله كان التشريع بالفعل كالتشريع بالقول لائقا بمنصب

النبوة

النبوة ولما أراد الله الحكيم منه أن يقع التشريع لبعض الأحكام
بفعله لكونه أبلغ من القول ومنها تشريع حكم السهو في الصلاة
ولا يتأتى ذلك إلا بأن يقع منه السهو كان السهو في الصلاة
لائقا بمنصب النبوة أيضا إذ ما لا يتوصل إلى اللائق إلا به
كان لائقا فاعتقاده التمام سهوا الناشئ عنه التسليم عند تمام
الكلام عمدا يشرع حكم السهو لائق وهو لكونه قائما مقام اليقين
مسوغ للنطق بلم أنس وإن تبين أنه كان قد نسي لأن معناه
لم أنس في اعتقادي إذ لم يقع مني التسليم نسيانا في نفس الأمر
في اعتقادي بل وقع بعد التمام وهو صدق فإنه ما سلم
إلا عن اعتقاد تمام وما أخبر إلا عن اعتقاده بدليل أن ذا
اليدين لما قال له بلى قد نسيت احتاج إلى استثبات فقال
أصدق ذو اليدين فقال الناس نعم فلولا أن الإخبار كان
عن الاعتقاد لما احتاج إلى الاستثبات وحيث إنه ما سلم
إلا عن اعتقاد تمام كان إخباره بأن التسليم لم يقع نسيانا مطابقا للواقع إذ
من المعلوم أن صدق الخبر مطابقة حكمه للواقع فيكون صادقا ومن هنا
قال أصحابنا إن من حلف أن الشيء الفلاني لم يكن ظنا منه أنه كذلك أو
اعتقادا لجهله به أو نسيانا له به ثم تبين أنه على خلاف ما ظنه
أو اعتقده فلا حنث لأنه إنما ربط بظنه أو اعتقاده وهو
صادق فيما انتهى إذا علمت هذا ظهر لك أن التلبيس عليه في
الالقاء في حالة التمني تأديبا كإيقاع السهو عليه في الصلاة
باعتقاد التمام تشريعا وأن النطق بما ألقاه الشيطان في
حالة خاصة بما لا ينافي التوحيد على أنه قرآن بناء على اعتقاد
أن الملقي ملك تلبيسا للتأديب كالنطق بالسلام ثم بلم
أنس معتقدا أنه مطابق للواقع بناء على اعتقاد التمام
سهوا ووقوع البيان على لسان جبريل ثم النسخ والأحكام

كوقوع البيان على لسان الصحابي ثم التدارك وسجود السهو
فكما ان السهو للتشريع غير قادح في منصب النبوة كذلك
الاشتباه في الالقاء للتاديب غير قادح وكما ان النطق بلم
انس مع تبين انه قد نسي صدق بناء على اعتقاد التمام سهوا
كذلك النطق بما يلقيه الشيطان في تلك الحالة عليه انه قرآن
بناء على اعتقاد ان الملقي ملك صدق ولا شيء من الصدق
بالتقول فلا شيء من النطق بما يلقيه الشيطان في تلك الحالة
بالتقول وهو المطلوب وبالله التوفيق **قوله ومنها** الاخلال
بالوثوق بالقرآن فلا يؤمن فيه التبديل والتغيير الخ
والجواب انه لا اخلال بالوثوق بالقرآن عند الذين اوتوا
العلم والذين امنوا لان وثوق كل منهما تابع لوثوق متبوعهم
الصادق الامين فاذا اجزم بشيء انه كذا اجزموا به واذا
رجع عن شيء بعد الجزم رجعوا كما هو شانهم في نسخ غير
هذا من الايات التي هي كلام الله تعالى لفظا ومعنى اذ قبل
نسخ ما نسخ لفظه كانوا جازمين بانهم متعبدون بتلاوته
وما نسخ حكمه كانوا جازمين بانهم مكلفون بهذا الحكم وبعد
النسخ جزموا بانهم ما هم مكلفين به فكل كلام قال فيه انه
كلام الله لفظا ومعنى فهم يجزمون به فورا ثم ان رجع رجعوا
وان ثبت ثبتوا وكلما كان كذلك فلا اخلال ثم من المعلوم
ان النسخ والاحكام بعد التلبيس الذي لا يخل في زمن
يسير من كون الذكر محفوظا بحفظ الله ومن كونه كتابا عزيزا
لا من عنده فلا ينافيه الاتيان وبالله التوفيق **فصل قوله**
وقد اردنا ان نجازي بعض الفاظ تلك الرسالة المسماة
باللمعة السنية واخترنا الكلام الاخير منها لانه جامع لمقصود
ومحصل لخلاصة ما سبق منها فقوله والمقصود ان نطق

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك الكلمات عن القاء الشيطان
الملتبس بالقاء الملك ابتلاء من الله لا ينافي عصمته اقول كيف
لا ينافي عصمته وادخاله اياه في السورة وتلاوته منزل منزلة
قوله هذا وحي من الله هذا قرآن هذا حق وانتم ايها المكلفون
مامورون بتلاوته واعتقاد انه من القرآن وباعتقاد صحة
معناه وكلها قضايا كاذبة والمعصية فيها في الكذب على اي وجه
كان الخ **والجواب** انه قد تبين انها كلها ليست قضايا كاذبة
اما انهم مامورون باعتقاد معناها بناء على انه صلى الله عليه
وسلم فهم منه انه استفهام انكاري حذف منه الهمزة وحكاية
بحذف القول مع ابطاله بعد نظامه واما بقية القضايا فنقول
قد تبين ان قوله صلى الله عليه وسلم لم انس في جواب ذي اليدين لم تبين
انه قد نسي قضية صادقة بناء على اعتقاد التمام سهوا القائم مقام
اليقين وتبين ان وقوع السهو منه للتشريع بالفصل الذي هو
ابلغ من القول مع وقوع البيان بعده ليس مما لا يليق بمقام النبوة
وتبين ان التلبيس عليه حالة التمني في الالقاء تاديبا مع وقوع
البيان بعده والنسخ والاحكام كايقاع السهو عليه ليقع التشريع
مع وقوع البيان بعده والتدارك فيكون النطق بما يلقيه الشيطان
مما لا ينافي التوحيد عنده صلى الله عليه وسلم على انه قرآن بناء على
اعتقاد ان الملقي ملك كالنطق بلم انس فالجواز كالجواز والصدق
كالصدق وكذلك كل ما يلزم من القضايا لكونها من لوازم ما هنا
النطق به للاعتقاد القائم مقام اليقين المسوغ للنطق المصحح للصدق
قوله ثم قال ولا يعارض الايات المذكورة يعني آية وما ينطق
عن الهوى وآية ولولا ان ثبتناك وآية ولو تقول علينا وقد
ذكر فيما تقدم عدم معارضتها بان نطقه بذلك عن القاء ملبس
وكلما كان النطق بها تابعا للالقاء لم يكن ذلك نطقا عن الهوى

ولا تقولا على الله ولا ركونا اليهم شيئا قليلا لان شيئا من ذلك
لا يتأتى الا اذا كان النطق عن اختيار منه ابتداء من غير تابعية
للالقاء الملبس عليه واللازم باطل لدلالة صريح الاية ان الشيطان
ألقى في الامنية ودلالة الروايات المتعاضدة المفسرة للاية على ان
النطق بها كان عن تبعية لذلك الالقاء لا عن اختيار منه فكذا
الملزوم فلا نطق عن الهوى ولا تقول على الله ولا ركون اليهم شيئا
قليلا حاشاه من ذلك هذا كلامه فيما تقدم ونحن نقول سلمنا
ان النطق التابع للالقاء لا ملازمة بينه وبين النطق عن الهوى
ولكن المتبادر من الاية ولحن الخطاب نفي النطق بالباطل سواء كان
موجبه هوى او القاء شيطانيا او غيره **والجواب** ان المتكلم بما القاه
الشيطان على تقدير كونه حكاية عنهم بتقدير القول او استفهاما
انكاريا على حذف الهمزة ليس نطقا بالباطل لان حكاية الباطل
ثم رده نطق بحق كالنطق بانكاره وهو كثير من ذلك قوله
تعالى وقالوا اتخذ الله ولدا ثم قال في رده ما لهم به من علم ولا لآبائهم
كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا او انما اعتقاد كونه
من القاء الملك بما لبس عليه حالة التمني تأديبا مع وقوع البيان بعده
والنسخ والاحكام من غير اخلال فقد مر انه غير قادح فظهر ان
المتبع لما من الله حقيقة او اعتقادا ناشئا من تلبيس غير مخل
وكان مما لا ينافي التوحيد عنده لا يكون ناطقا عن الهوى
ولا متقولا على الله بخلاف المتبع ما ليس من الله حقيقة ولا اعتقادا
كالكاهن المتبع لما يلقيه اليه الجني ومنه يظهر الجواب عن قوله واما
اية ولو تقول علينا فتبيانها بأثر ادعائهم فيه الكهانة يؤذن
بان الكاهن المتبع لما يلقيه اليه الجني متقول على الله فلا يصح ان
يقال كل من اتبع ما ألقي اليه لم يكن متقولا على الله انتهى اذ
القضية الكلية التي ندعيها هي ان كل متبع لما من الله حقيقة

او اعتقادا

او اعتقادا ناشئا من تلبيس غير مخل بالتاديب لا يكون متقولا
كل متبع للالقاء مطلقا **قوله** واما اية ولولا ان ثبتناك
فانها تقتضي التثبيت ونفي مقاربة الركون اليهم واذا
وافقهم على مدح الهتهم فانه ركون اعظم منه ولا سيما
على ما في بعض الروايات من انه تمنى ان لو نزل عليه شيء
يقارب بينه وبين قومه او انه تمنى ان لا ينزل عليه
شيء ينفرهم والاختيار وان لم يوجد اولا فقد وجد
ثانيا وكونه صادرا عن القاء الشيطان لا يدفع الاختيار
ولا يكون عذرا لانه اتباع للباطل فقولكم لان شيئا من ذلك
لا يتأتى الا اذا كان النطق عن اختيار ممنوع **والجواب** ان الكلام
ليس نصا في مدح الهتهم لما مر غير مرة انه صلى الله عليه وسلم يجوز
ان يكون فهم استفهاما انكاريا او حكاية عنهم مع ذكر ما يبطله
وبعد تسليم صحة الحديث والقول به على ظاهره لا بد من احد
هذين الوجهين كما مر وعلى التقديرين فلا موافقة على المدح
فلا مقاربة للركون اليهم غير ان حذف القول او الهمزة اوهم
المدح بالنسبة الى الذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وكان
ذلك مرادا من الله الحكيم كما قال تعالى ليجعل ما يلقي الشيطان
فتنة الى اخره والمرض والقسوة منعهم من الاصغاء للادلة
الى ما رده بعده لانهم كما وصفهم الله تعالى اذا ذكر الله وحده
اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين
من دونه اذا هم يستبشرون ولهذا قال الله تعالى بعد ذكر
الفريقين وان الظالمين لفي شقاق بعيد فلا اتباع للباطل
وانما هو اتباع لما معناه حق واوهم باطلا عند الفريقين وكان
ذلك مرادا او لا قادح لعدم الاخلال بمقام النبوة **قوله** واما
دلالة الاية على ان الشيطان ألقى في الامنية فلا يتعين لهذا

الغرض بناء على ان القصة باطلة واما على ان لها اصلا وان الاية نزلت
في ذلك فقد ذكروا تاويلات منها ان ذلك نطق به المشركون
تخليطا على عادتهم في قولهم لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه ونسب
للشيطان لكونه الحامل لهم او المراد شيطان الانس او نطق به
الشيطان في سكتة من سكتاته صلى الله عليه وسلم الى غير ذلك **والجواب**
ان كل هذه التاويلات محتملة لولا ما يعارضها مما صح موصولا ومرسلا
انه صلى الله عليه وسلم قرأ تلك الكلمات حين قال له جبريل
اعرض علي ما جئتك به وقد تبين انه لا يمتنع اجراؤه على ظاهره
واذا عارضها الحديث الصحيح الذي لا يمتنع حمله على ظاهره بطلت
التاويلات كلها وان اصحاب تلك التاويلات انما اضطروا اليها فيما يغلب
على الظن لاعتقادهم ان الحديث يمتنع اجراؤه على ظاهره والغالب انه
الحامل لهم على الطعن في صحة الحديث ايضا واذا صح الحديث موصولا
ومرسلا من غير وجه ولم يمتنع اجراؤه على ظاهره طاشت
التاويلات المعارضة له وتعينت دلالة الاية لهذا الغرض وبالله
التوفيق **قوله** ثم قال وانما لم يقدح ذلك في علو مقامه
وعصمته لانه لم يصدر منه الا اتباع الالقاء اقول هذا
الالقاء اذا كان بالملك او شيطانيا واتبعه كيف لا يقدح في علو
مقامه واذا كان من هو دون رتبة من النبي كالاولياء يميزون
بين الخواطر الشيطانية وغيرها ويحفظون من اتباع الشيطان
فما بالك بالانبياء بل بسيد الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين
والجواب ان القادح اتباع الالقاء الشيطاني من حيث انه
شيطاني واما اتباعه من حيث انه القاء ملكي بما لبس عليه تاديبا
فلا كما تبين ثم ان الملقي ليس بالملك على ما فهمه النبي صلى الله عليه
وسلم من احد الوجهين المذكورين كما مر ثم ان الشيطان لا سبيل له
على قلوب الانبياء فليس لهم خاطر شيطاني وانما وقع الالقاء

على

على اللسان من طريق السمع بما لبس عليه تاديبا وقد مر انه لا يخل
فلا تلاعب للشيطان به **قوله** ثم قال وذلك هو اللائق بمنصب
النبوة اقول بل اللائق بمنصب النبوة التمييز بين الملك والشيطان
وبين الالقاء الشيطاني والرباني **والجواب** كما ان اللائق بمنصب النبوة
التمييز كذلك اللائق به ان لا يكون له تمن معارض للقدر متعلق
بهداية الكل مع قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من
الجاهلين فاذا وقع ما هو غير لائق بمقامه من التمني المعارض
للقدر فالمناسب بمقتضى الحكمة الالهية اذا اراد تاديبه ان يلبس عليه
تلبيسا غير مخل يستتبع التاديب بالتنقية والترقية الى ما هو الاكمل
في حقه فقولكم اللائق بمنصب النبوة التمييز مسلم في غير ما يراد به
التاديب ثم يقع البيان واما اذا اريد به التاديب فاللائق عدم
التمييز ليتم التاديب ثم يقع البيان والنسخ والاحكام من غير اخلال
قوله ثم قال فخبر ان الله تعالى ابتلاه باخفاء الالقاء الشيطاني
اقول ان فسر الابتلاء بالاختبار على ما هو اصله اي هذا الاختبار
للنبي صلى الله عليه وسلم فاللائق بمقامه الا دفع وبما هو معلوم
من عادة الله سبحانه معه فيما يسلكه من الوجه الاكمل عدم
الاغترار وتمييز الحق من الباطل كيف وعلم النبي صلى الله عليه وسلم
بما ياتيه من ربه يقيني لا يخالطه شك ومعرفة لا يتخللها
شرك ولو وقع منه خلاف الاكمل لكان في الاثر او غيره
ما يدل على العتاب والتنبيه عليه وليس هنالك ما يفيد اي
شيء من ذلك ولله الحمد والجواب ان ما هو معلوم من
عادة الله تعالى معه فيما يسلكه من الوجه الاكمل اعتناؤه به
بالتاديب تنقية وترقية الى الاكمل في العبودية فاذا وقع
منه غير الاكمل من التمني المصادم للقدر واراد من كمال
اعتنائه به ترقيته منه الى الاكمل كان اللائق حينئذ عدم التمييز

ليقع التاديب بالتنفيه عما ينشأ منه التلبيس والترقية الى الاكمل ومثل
هذا الاشتباه في تلك الحالة للتاديب لا يوجب اعتزارا
مخلا ولا عدم تميز الحق من الباطل على وجه مخل كما تبين غير مرة
فهو على يقين بما ياتيه من ربه في غيرها لا يخالجه شك واما قوله
ومعرفة لا يتخللها شرك فقد تبين ان ما القاه الشيطان على
احد الوجهين المذكورين لا شرك فيه بل من موكدات التوحيد
لكونه اما انكارا لمدحهم او حكاية له مع رده بعده وقد تقدم
في اول الاجوبة عن اللوازم ان في الاية اشارة الى وقوع خلاف
للاكمل منه حيث رتب الالقاء على التمني **قوله** ثم قال
وقد تبين ان ذلك لا يقدح في عصمته ولا ينافي علو مقامه
صلى الله عليه وسلم اذ لم يكن عن اختيار ابتداء الخ اقول
ان اريد بالاختيار مقابل الاضطرار الى اخر السياق وان اريد
بالاختيار انه لم ينطق بالباطل من قبل نفسه وانما تبع فيه
الغير اعتزارا فهو باطل لما تقدم من الاجماع على انه معصوم
فيما كان طريقه البلاغ من الاخبار على خلاف ما هو عليه لا قصدا
ولا عمدا ولا سهوا او غلطا **والجواب** ان المراد الشق الثاني اعني
انه لم ينطق بالملقى من قبل نفسه لكن النطق بما القاه الشيطان
ان اريد به احد الوجهين المذكورين ليس نطقا بالباطل لان
حكاية الباطل ثم رده نطق بالحق كالنطق بانكاره والاجماع
على انه معصوم فيما كان طريقه البلاغ من الاخبار على خلاف
ما هو عليه لا يعارض هذا لانه لم يقع هنا اخبار بالشيء على
خلاف ما هو عليه اما على تقدير كونه استفهاما انكاريا فظاهر
واما على تقدير كونه خبرا حكاية عنهم فكذلك لان الاخبار
بانهم يقولون ذلك موافق للواقع فان الله تعالى قد قال
عنهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فيكون اخبارا

بالشيء

بالشيء على ما هو عليه وبالله التوفيق **قوله** ثم قال وان
تقرر هذا ظهر ان تفسير الالقاء بمحاكاة الشيطان نغمة
رسول الله صلى الله عليه وسلم والقائه تلك الكلمات في اسماع
الحاضرين تفسير بخلاف الواقع اقول لا نسلم انه تفسير بخلاف
الواقع لما قررناه من امتناع الحمل على الظاهر وعدم قبول
ما يعين الحمل عليه نعم هو تفسير بخلاف الظاهر من اللفظ
وذكر على سبيل الاحتمال لا الجزم والله اعلم بالواقع **والجواب**
انا نقول ايضا والله اعلم بالواقع لكن المراد بالواقع ما دل
ظاهر الحديث الصحيح موصولا ومرسلا انه الواقع وقد تبين
ما قررناه انه لا يمتنع حمله على الظاهر ولا شك ان هذا
التفسير بخلاف الواقع بهذا المعنى وقد تقدم ان هذا
الوجه وغيره من التاويلات المذكورة على وجه الاحتمال
كلها محتملة لولا الحديث الصحيح المعارض لها واذا ظهر امكان
حمل الحديث على الظاهر لم يبق للمصير اليها وجه والله اعلم **قوله** ثم قال
فان كانوا انما ارتكبوا هذا مع كونه معارضا للرواية الصحيحة الدالة
على ان الناطق بها رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ اقول قد تقدم ما في
صحة تلك الرواية وانها لا تخلو عن الشذوذ الموجب لضعفها لا الصحة
وتقدم ايضا ما يدل على اجماعهم على تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن
مثل هذا **والجواب** انه قد تقدم صحة تلك الرواية موصولا ومرسلا
وان الزيادة التي فيها لا تنافي رواية الصحيح فلا شذوذ فيها
وتقدم ان اجماعهم انما وقع على تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم
عما هو منفي بالنص من التلبيس المخل واما التلبيس للتاديب من غير
اخلال فلا اجماع على التنزيه عنه **قوله** ثم قال فلا حاجة الى ارتكابه
لما ذكرناه لا كما ذكره البيضاوي رحمه الله من انه يخل بالوثوق
على القرآن لانه مندفع بقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم

ايات قوله ولا يندفع به لانه ايضا محتمل له قلنا ان اردتم انه محتمل عند
الفرق الاربع المذكورة في الايتين بعدها فهو ممنوع لدلالة الاية
على انتفاء الاحتمال عند فريقين من الفرق الاربع المذكورة بعد
النسخ والاحكام وان اردتم انه محتمل له في الجملة اي عند بعض دون
بعض فهو مسلم وغير مضر لعدم اخلاله بالوثوق على القرآن عند
الذين اوتوا العلم والذين امنوا واما اخلاله بالنسبة الى الذين
في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم فهو مراد الخ اقول اذ لما كانت
الفرق الاربع مستوين في التكليف بمقتضى ما منحهم الله من النظر العقلي
والاعذار اليهم جميعا ببيان الحجج على تحقيق الحق وابطال الباطل لئلا
يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فقد يقال حينئذ اي فرق بين
اخبار النبي اولا وبين اخباره ثانيا حتى يكون احدهما محتملا والاخر غير
محتمل او عند قوم دون اخرين والجواب ان هذا السؤال وارد عند
مطلق النسخ لوجود استواء الفرق في التكليف والاعذار مع افتراقهم
بالشك واليقين عند النسخ في قوله تعالى واذا بدلنا اية والله اعلم مكان آية مر
بما ينزل قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس
من ربك بالحق ليثبت الذين امنوا وهدى وبشرى للمسلمين
فالتبديل نزل لقوم حتى قالوا له انما انت مفتر وصار مثبتا
للذين امنوا باذن الله وهدى وبشرى للمسلمين فما هو جوابكم فهو
جوابنا ولكنا نكفيكم المؤنة باذن الله فنقول الفارق وجود مرض
القلب والقسوة عند قوم والعلم والايمان عند اخرين فان كلا من
المرض والقسوة يحمل من قام به على الشك والمرية كما ان كلا من
العلم والايمان يحمل من قام به على اليقين والاذعان لما جاء به
ولا سيما ان الله تعالى لما اراد ان يجعل ما يلقي الشيطان فتنة
لهم القى في اذهانهم بسبب حذف الهمزة او القول انه ذكر الالهة
بخير ولم يرد منهم ان يفهموه كما فهمه النبي صلى الله عليه وسلم من انه استفهام

انكاري او حكاية بحذف القول وساعدهم على هذا الفهم المرض
والقسوة كما يشير اليه قوله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت
قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه
اذا هم يستبشرون فاذا جاء النسخ والاحكام يقولون
ما بالك ذكرها بخير ثم ارتددت عنه كما هو شأنهم في غير هذا النسخ
كقولهم عند تحويل القبلة ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها
وقولهم عند التبديل مطلقا انما انت مفتر فلم يكن بالنسبة اليهم هدى
كما شهد عليه بقوله تعالى وهدى وبشرى للمسلمين لا لمطلق الناس
كما قال تعالى قل هو للذين امنوا هدى وشفاء والذين
لا يؤمنون في اذانهم وقر وهو عليهم عمى بل هذا شأنهم في غير النسخ
قال تعالى واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه
ايمانا فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين
في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون
وقال تعالى ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها
فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا فيقولون
ماذا اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا الاية
الى م هذا وقد اشار الحق تعالى منشأ الافتراق الذي هو مستقر الامر
ومنزع الحجة البالغة بقوله تعالى في قوم ولو علم الله فيهم خيرا
لاسمعهم ولو اسمعهم اي والحالة هذه لتولوا وبقوله في اخرين
فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم وقوله والزمهم كلمة
التقوى وكانوا احق بها واهلها قل فلله الحجة البالغة
فلو شاء لهداكم اجمعين ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير
الفاصلين قوله واما الاستدلال على دفع الاحتمال في حق
الفريقين بالاية فهو شبه مصادرة اذ لا يتم الا بعد معرفة الخارج
الذي فيه النزاع وان الاية نزلت بسبب القضية المذكورة

وانما على ظاهرها من نطقه صلى الله عليه وسلم بذلك وهو ممنوع والجواب
انه قد تقدم بيان صحة الحديث وكونه سببا للنزول وكون الزيادة
التي فيها النزاع غير شاذة وكونه على ظاهره من غير استحالة فلا فساد
ولا شبهة قوله بل على فرض ان الآية نزلت بسبب القضية المذكورة لا يتم
الاستدلال اذ هو مبني على ان المراد بقوله يعلمون انه الحق من ربك
يعلمون ان هذا القرآن الناسخ لما يلقي الشيطان من الزيادة في
التلاوة هو الحق والآية محتملة لان يكون المراد يعلمون ان القرآن
الناسخ للمعنى الذي فهمه من فتن من الكفار هو الحق وهو موافق
لما كان في علمهم قبل وفهمهم وانما وقع الافتتان والخطاء في الفهم
لغيرهم والجواب ان المقصود ان الاحتمال منتف في حق الفريقين
بالعلم والايمان بدليل الآيات الدالة على ذلك واتى بها الآية المتصلة
به وليس المراد الاختصار وعليه فالاستدلال تام سواء كان الضمير
راجعا الى القرآن الناسخ لما يلقيه الشيطان او الى الناسخ للمعنى
الذي فهمه من فتن من الكفار مما يلقيه الشيطان او الى تمكين الشيطان
من الالقاء كما ذكره البيضاوي لدلالة الآية المذكورة وما في معناها
على ان المنافي للاحتمال عندهم هو العلم والايمان الحاصلان لهم قبل
نزول الآية ومعه وبعده فان الآخرين لما فهموا المدح بسبب الحذف
مع مساعدة الامراض التي في قلوبهم صار النسخ والاحكام فتنة لهم
موجبا للشك والمرية وقولهم ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنه
بخلاف الذين اوتوا العلم والذين آمنوا فانهم ما فهموا المدح حتى يكون
النسخ والاحكام فتنة لهم لعلمهم وايمانهم بان ما يأتي به النبي من الحق
تعالى لا تناقض فيه وقد ذكر بعده ما يبطله ومع فتم الاستدلال
على الاحتمال الذي ذكرتموه ايضا بان يقال انهم يعلمون ان القرآن
الناسخ للمعنى الذي فهمه من فتن من الكفار من مدح الآلهة وهو
ما يأتي بعد ذلك مما يبطل رجاء الشفاعة منهن هو الحق لا ما فهموه

من المدح وهو موافق لما كان في علمهم قبل وانما وقع الافتتان
والخطاء في الفهم لغيرهم حيث فهموا المدح بسبب الحذف ومساعدة
المرض والقسوة ومنه يظهر الجواب عما تقدم من قول القاضي عياض
في رده الحديث من طريق النظر بان ذلك لو وقع لارتد كثير ممن
اسلم ولم ينقل ذلك انتهى ووجه ظهوره ان وقوع ذلك انما
يستلزم ارتداد كثير ممن اسلم لو فهموا منه ما ينافي التوحيد كما فهمه
الآخرون وذلك غير لازم غير واقع بدليل الآية والله اعلم قوله
ثم قال وانما لا يزالون في مرية لعدم التمييز عندهم لان التمييز
لا يحصل الا بالعلم او بالايمان ولا شيء منهما عند الذين في قلوبهم مرض
والقاسية قلوبهم اقول فيلزم ان يكونوا مكلفين بالتصديق بما لم
يفهموه ولم يميزوه والجواب ان الغافل الذي يمتنع تكليفه هو من
لا يفهم الخطاب او يفهمه لكنه لم يقل له انه مكلف لا من لا يميز بين
الحق والباطل بعد فهم الخطاب ولا شك ان الفرق الاربع كلهم
مشتركون في فهم الخطاب لانه بلسانهم وذلك كاف في صحة
التكليف واما التمييز بين الحق والباطل من الخطاب الملقى اليهم وعدم
التمييز فامر آخر وراء فهم الخطاب لا يتوقف عليه صحة التكليف وقد
تقدم التنبيه على منشأهما وهو ان منشأ عدم التمييز مرض القلب
وقسوته ومنشأ التمييز العلم والايمان واما منشأ هذه الامور التي
هي منشأ التمييز وعدمه ولم خص هؤلاء بهذا واولئك بذلك
فهذا سؤال عن سر القدر وهو غامض جدا يطول فيه المقال وهو مزلة
الاقدام افهام اولي الانظار من الرجال وليس هذا محل الخوض
في جواب هذا السؤال وبالله التوفيق الكبير المتعال قوله في آخر
الرسالة لنقتصر على هذا القدر من الكلام اذ في تحرير جوابه
ان شاء الله ما يحصل المرام اقول ولينكشف بما يسره الله في الوقت
وابرزه على لسان عبده من الكلام فلعل المطلوب من الجواب المحرر